

## الفرق بين النظام النباتي والصوم المسيحي

### القديس تيخون الذي من موسكو

#### نقلتها إلى العربية الخورية جولي عطية عيسى

لطالما تعرّض الصوم المسيحي، وبأشكالٍ عديدة، للتهجّم والنقد من قبل أشخاص "جسدانيين". وقد صارت هذه التهجمات أشرس في وقت يسلك فيه الناس بحسب الجسد ويهتمون بإرضائه. في أوقات كهذه، حيث الجسد سائدٌ والروح ضعيف، صارت الأصوات المدافعة عن الصوم نادرةً وخجولة. فمن المسرّ أن نسمع صوتًا يدافع عن الصوم، آتٍ في أيامنا من العالم الدهري الذي لا يتناغم في معظم الأحيان مع عالم الكنيسة الروحي. نحن نتحدّث عن التيار النباتي، الذي نسعد به إذا كان النباتيون أنفسهم لن يسمحوا بحصول عددٍ من العيوب والأخطاء.

يُقصد بالتيار النباتي تلك الحركة في المجتمع الحديث التي تسمح بأكل الأطعمة ذات المصدر النباتي، ولا تسمح باللحوم أو السمك [١] (من هنا يأتي اسم النباتية – وباللاتينية Vegetare أي أن ينمو). يدافع النباتيون عن تعليمهم مستنديين إلى الحجج الآتية:

- من وجهة نظر علم التشريح: ينتمي الإنسان إلى فئة العواشب، وليس إلى آكلات اللحوم والأعشاب، ولا إلى آكلات اللحوم.
  - من وجهة نظر الكيمياء العضوية: تحتوي الأغذية النباتية على جميع العناصر الغذائية الضرورية، ويمكنها أن تدعم قوّة الإنسان وصحّته تمامًا مثل الأطعمة المختلطة، أي اللحوم والخضروات.
  - من وجهة نظر علم وظائف الأعضاء (Physiology): يجري امتصاص الأطعمة النباتية بسهولة أكبر من اللحوم.
  - من وجهة نظر الطب: تسبّب اللحوم التهابًا في جسد الإنسان وتُقصّر عمره، بينما يحفظ الغذاء النباتي جسده ويطيل عمره.
  - من وجهة نظر الاقتصاد: الأغذية النباتية أقلّ كلفةً من اللحوم.
  - ولدينا أخيرًا الجانب الأخلاقي: يتعارض قتل الحيوانات مع الحسّ الأخلاقي لدى الإنسان، في حين أنّ النباتية تجلب السلام إلى العالم وإلى حياة الإنسان وإلى علاقته بالحيوانات.
- جرى التعبير عن بعض هذه الأسباب في العالم الوثني في العصر القديم (على يد بيثاغوراس وأفلاطون وساكيا موني (بوذا)). ثمّ غالبًا ما تكرّرت في العالم المسيحي، ولكنّ الذين كزروها كانوا أشخاصًا محدّدين لم يكوّنوا المجتمع كلّهُ. فقط خلال منتصف القرن التاسع عشر في إنكلترا، ولاحقًا

في بلدانٍ أخرى، ظهرت مجتمعاتٌ كاملةٌ تتبع النظام النباتي. ومنذئذٍ، بدأت التيارات النباتية تنمو، ويمكنكم أن تجدوا أتباعها أكثر وأكثر، وهم ينشرون آراءهم بحماسٍ ويسعون لتنفيذها. في أوروبا الغربية، ثمة العديد من المطاعم النباتية (يوجد نحو ٣٠ مطعمًا في لندن وحدها)، حيث يحضّر الطعام من النبات حصراً. وقد نُشرت كتب طبخٍ تتكلّم على المطبخ النباتي، تُعرض فيها أنظمة الأكل النباتية مع وصفاتٍ تحضير أكثر من ٨٠٠ طبق. في روسيا، لدينا أيضاً أتباعٌ للنظام النباتي، من بينهم الكاتب الشهير ليو تولستوي.

للنظام النباتي مستقبلٌ عظيمٌ محتمل [٢]، لأنّ البشرية، كما يقولون، ستصل إليه في النهاية، سواء أرادت ذلك أم لا. هناك بالفعل شخّ ملحوظٌ في الماشية في بعض الدول الأوروبية، وفي آسيا ما عادت موجودة تقريباً، بخاصّة في البلدان ذات الكثافة السكانية العالية، مثل الصين واليابان. لذلك، لن يكون هناك المزيد من الماشية في المستقبل؛ إذًا لن يكون هناك لحوم. وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ النباتية تقدّم من خلال أتباعها خدمة، وهي ابتكار طرائق لإعداد الأطعمة، وإدخال طريقة حياةٍ ينبغي لجميع الناس اعتمادها عاجلاً أم آجلاً. وإلى جانب هذه الخدمة التي فيها إشكالية، ففي النباتية حسنةٌ لا شكّ فيها، وهي مخاطبة عصرنا المُدلل والمحبّ للمتعة بدعوةٍ ملحةٍ إلى الاعتدال.

يقول تولستوي: "ألقوا نظرةً على حياتنا، على ما يحقّز غالبية الناس في عالمنا. اسألوا أنفسكم ما هي المصلحة الرئيسة للأغلبية؟ قد يبدو لنا غريباً، نحن الذين اعتدنا إخفاء اهتماماتنا الحقيقية وإظهار تلك الخاطئة والمصطنعة، أنّ الاهتمام الرئيس لغالبية الناس في عصرنا هو متعة الطعام وإرضاء الذوق. بدءاً بالفقراء ووصولاً إلى أغنى الطبقات في المجتمع، الشراهة هي باعتقادي الهدف الرئيس والمتعة الرئيسة في حياتنا. العامل الفقير هو الاستثناء، فقط بالدرجة التي يمنعه فيها فقره من الانغماس في هذا الشغف. فما إن يملك ما يكفي من الوقت والوسائل، سيحاكي الطبقات العليا، ويحضر لنفسه ألدّ الأطعمة وأحلاها... ثمّ انظروا إلى حياة المتعلّمين، واستمعوا إلى محادثاتهم. يبدو مشغولين تماماً بالموضوعات السامية التالية: الفلسفة والعلم والفنّ والشعر، فضلاً عن توزيع الثروة، ورفاهية الناس، وتعليم الشباب. لكن بالنسبة إلى أغلبية كبيرة، هذا كلّ كذبة. فبين قيامهم بتلك الأمور، كلّهم يقومون بالعمل الفعليّ - الإفطار والغداء، حتّى تمتلئ المعدة ولا يعود بوسعهم أن يتناولوا المزيد. إنّ الاهتمام الحيّ والحقيقيّ للأغلبية هو الطعام. كيف نأكل، ماذا نأكل، متى وأين. لا يحدث احتفالٌ أو فرحٌ أو افتتاحٌ، أيّاً كان نوعه، من دون طعام. يتظاهر الناس بأنّ العشاء أو الطعام هو مسألة لا تعنيهم، لكنّ هذا كذب. فقط حاولوا استبدال الأطباق الفاخرة التي يتوقّعونها، لن أقول الخبز والماء، بالعصيدة والمعكرونة، وسترون العاصفة التي ستثيرونها. بات من الواضح أنّه حين يجتمع هؤلاء الأشخاص، فاهتمامهم الأساسي ليس ما يحاولون تقديمه، بل هو الطعام" [٣].

بالطبع، هذا الوصف للمجتمع الحديث فيه نوعٌ من المبالغة، ولكن فيه أيضًا قدرٌ كبيرٌ من الحقيقة. لذلك، فإنَّ دعوة النباتيين الملحة إلى الاعتدال، وإلى حدِّ المرء من رغباته، هي أمرٌ مناسبٌ جدًا. وإذا اقتصرنا على هذه الدعوة، فلا يسعنا إلا أن نفرح بالنمو الناجح للتّيّار النباتي. إلا أن النجاح في كثيرٍ من الأحيان يجعل الرأس يدور وينفخ الإنسان. وهذا ما يحدث مع أتباع النظام النباتي: فهم ينسبون إليه ما لا يوجد فيه، وما لا يمكنه أن يمتلكه. يعتقد النباتيون أنه لو كان الناس لا يأكلون اللحوم، لكان النعيم التام قد سيطر على العالم منذ فترةٍ طويلة. حتى أفلاطون الذي أعطانا مثالاً حول كيفية التفكير بذكاءٍ بالأفكار وغيرها من الأمور السامية، اتخذ قراراتٍ غير منطقيّة في مجالات الحياة الحكوميّة والاجتماعيّة، في حوارهِ "حول الجمهورية"، قائلاً إنَّ أصل الظلم ومصدر الحروب والشور الأخرى يتمثل في أن الناس لا يكتفون بأسلوب عيشٍ بسيطٍ وبالطعممة النباتيّة النيئة، بل يتناولون اللحوم. [٤] وفي كتاباتٍ مدافعٍ آخر عن النباتيّة، ولكنّه هذه المرّة مسيحيٌّ من أتباع تجديد المعموديّة وهو توماس تريون (١٧٠٣)، نجده يقول: "إذا توقّف الناس عن قتالهم، عن القمع وما يمكنهم من ذلك وما يشجعهم على ذلك - عن قتل الحيوانات واستخدام دمائهم ولحومهم كغذاء - فبعد مدّةٍ وجيزة، سيضعف قتلهم لبعضٍ وخلافاتهم الشيطانيّة والقسوة في ما بينهم، وربّما ستختفي هذه كلّها تمامًا... حينئذٍ سيتوقّف البغض، ولن يُسمع بعد الآن أنين الناس أو الحيوانات المثير للشفقة. ثمّ لن تعود موجودةً أنهارُ الدم المتدفّقة من الذبائح، أو رائحة أسواق اللحوم، أو الجزارون المملّخون بالدماء، أو رعد المدافع، أو حرق المدن. ستختفي السجون ذات الرائحة الكريهة، وستختفي البوابات الحديدية التي يقبع خلفها الرجال بعيدًا عن زوجاتهم وأطفالهم، وسينتشر الهواء النقيّ، ولن نسمع صرخات أولئك الذين يستجدون الطعام أو الملابس. لن تعود المتاعب موجودة، ولا الاختراعات الماكرة التي تدمر في يومٍ واحدٍ ما ابتكره الآلاف من الناس بجهدٍ كبير، ولا الشتم الرهيب، ولا الكلام الفظّ. لن يكون هناك تعذيبٌ غير ضروريٍّ للحيوانات التي لديها أعمالٌ تفوق قدرتها، ولا إفسادٌ للعذارى. لن يكون هناك تأجيرٌ للأراضي والمزارع بأسعارٍ باهظةٍ تُجبر المستأجر على إرهاق نفسه وخدمته وحيواناته تقريبًا حتّى الموت، ومع ذلك يظلُّ قابلاً في ديونٍ غير مدفوعة. لن يكون هناك اضطهادٌ ممّن هم فوق نحو الأدنى منهم؛ لا حاجة لذلك بسبب غياب الرفاهيّة والشراسة. سيتوقّف أنين الجرحى. لن تكون هناك حاجةٌ للمسعفين لإزالة الرصاص من الجثث، وبتير الذراعين والساقين المشوّهة أو المكسورة. سيتوقّف الصراخ والأنين من مرض النقرس أو الأمراض الأخرى (مثل الجذام أو السل)، فضلًا عن أمراض الشيخوخة. وسيتوقّف الأطفال عن أن يكونوا ضحايا لآلامٍ لا حصر لها، وسيكونون بصحةٍ جيّدةٍ مثل الحملان أو العجول أو صغار الحيوانات الأخرى التي لن تعرف المرض". [٥]

انظروا الصورة الجذابة التي يرسمها النباتيون، ومدى سهولة تحقيق ذلك كلّ: علينا فقط أن نتوقف عن أكل اللحوم، وستكون جنة حقيقية على الأرض، حياة خالية من المتاعب والأحزان. إلا أننا نشكّ جدًّا في جدوى أحلام النباتيين الملونة بألوان قوس قزح. على الرغم من أنهم يدعون أنّ "نظامهم يضرب جذور الشرّ ويعدُّ بفوائد ليست طوباوية"، [٦] فإنّ الأرض لن تصبح فردوسًا أو ملكوت الله بمجرد توقّف الناس عن أكل اللحوم، لأنّ ملكوت الله، بحسب كلمات الرسول بولس الحكيم، ليس طعامًا وشرابًا، بل هو بزرّ وسلامٌ وفرحٌ في الروح القدس (رومية ١٤: ١٧). لطالما ابتعدت التعاليم المسيحية عن روح أحلام اليقظة. وهي تختلف عن النظريات الطوباوية المتنوعة، من حيث أنها تميّز بوضوح الفرق بين المثالية والواقع. وبينما توجّه التعاليم المسيحية تطلّعات البشر نحو الهدف الموجود في ما هو مثاليّ، فإنّها في الوقت نفسه لا تغفل مطلقًا عن الواقع. وفي هذا الواقع، من المستحيل تحقيق السعادة المثالية. فالرغبة والألم والمعارك ستسّم دائمًا حياة الإنسان على الأرض؛ سيكونون زملاؤنا المسافرون معنا في الحالة الراهنة، لأنّ أسباب هذه المظاهر المؤسفة ليست خارجية، وليست عرضية وعابرة، بل عميقة وداخلية، تتعلق بالحالة الخاطئة للطبيعة البشرية التي أفسدتها الخطيئة. ما دامت هذه الحالة مستمرّة في الطبيعة البشرية، وما دامت الظروف الشاذة في حياتنا لم تتغيّر من الجذور، وما دما لم نستعد علاقتنا الصحيحة بالله وبأنفسنا وبالعالم الخارجي؛ أي ما دامت الحياة الحاضرة لم تتحوّل إلى الحياة الجديدة الأبدية، ولم تنكشف للبشر السماء الجديدة والأرض الجديدة التي يسكن فيها البرّ (راجع ٢ بطرس ٣: ١٣) - حتى ذلك الحين، سيكون دائمًا عوزٌ وفقرٌ وأحزانٌ ومرض. وبما أنّ جذور هذه المشكلات كلّها هي أعمق بكثير مما يتخيّله النباتيون والحالمون الآخرون مثلهم، فلا يمكن للوسائل التي يقدمونها أن تعالج الشرّ - فهي صغيرة جدًا وسطحية وغير مهمّة لذلك.

من الصحيح أنّ الامتناع عن تناول الطعام بعامة، وأيضًا عن اللحوم، يساعد في كبح أهوائنا وشهواتنا الجسدية، ويمنح نفسنا حقة عظيمة، ويساعد على تحريرها من سيادة الجسد وإخضاعها لسيادة الروح. ولكن سيكون من الخطأ أن نعتبر الصوم الجسديّ أساس الأخلاق، وأن نزيل منه جميع صفاته الأخلاقية الرفيعة، وأن نفكر مع النباتيين بأنّ "الأطعمة النباتية في حدّ ذاتها تجلب الكثير من الفضائل". [٧] إنّ الناسك التقّي القديس يوحنا كاسيانوس، الذي نعرف طبعًا أنّه لا يحتقر الصوم، والذي، بحسب القديس يوحنا الذهبيّ الفم، كان الملائكة أنفسهم يبتهجون به عندما كانوا يرون ما يأكل، قال بعكس النباتيين وأحلامهم: "نحن لا نضع رجاءنا في الصوم (الجسدي) وحده. فهو ليس خيرًا ولا ضرورةً في حدّ ذاته. إنّه مفيدٌ لاكتساب نقاوة القلب والجسد، فيأتمّة شوكة الجسد يكتسب الإنسان سلام النفس. ولكن الصوم يصبح خطيرًا على الروح أحيانًا إذا تمّ الالتزام به في غير وقته

المناسب. وعلينا أن نجتهد حتى نكتسب، بواسطة الصوم، الفضائل التي تبني الصلاح الحقيقي، لا أن نُعمل الفضائل في الصوم فقط. وهكذا، فإنَّ فائدة تطويع الجسد والصوم الذي يشفي، هي اكتسابنا المحبّة بواسطته، المحبّة التي تنبع صلاحًا دائمًا وثابتًا". [٨]

هذا يعني أنّ صوم الجسد هو مجرّد وسيلةٍ ومساعدٍ على اكتساب فضائل الطهارة والعفة، وعليه أن يكون مّثحدًا بالصوم الروحيّ - الامتناع عن الأهواء والرذائل، والابتعاد عن الأفكار والأفعال السيئة. فمن دون ذلك، لا يكفي الصوم للخلاص. لن نضع قائمةً بالكتابات الآبائية حول ذلك، لأنّه من الصعب "احتواء ما لا يمكن احتواؤه" - فجميع الآباء والنسّاك يتفقون في تعاليمهم على أنّ الصوم الحقيقي يحدث عندما يمتنع الشخص عن الشرّ. سنستشهد، بدلاً من ذلك، بقصّة مميّزة للقديس مكاريوس الكبير. قال له المجرب نفسه ذات مرّة: "لا أستطيع أن أنغلّب عليك يا مكاريوس. كلّ ما تفعله، أفعله أيضًا. أنت تصوم، وأنا لا أكل مطلقًا. أنت تسهر، وأنا لا أنام. لديك شيء واحد فقط يغلبني". "ما هو؟"، سأله مكاريوس. أجابه الشيطان: "التواضع"، هذا هو السبب في أنني لا أستطيع أن أغلبك". [٩] من هذا نرى أنّه يجب علينا ألا نعلّق آمالنا كلّها على صوم الجسد.

اعتبر النسّاك الأتقياء أنّ صيام الجسد وحده غير كافٍ للخلاص، كما أنّهم لم يفرضوا صومهم على الجميع (كما يفعل النباتيون في كثيرٍ من الأحيان)؛ لأنّه كما قال القديس نيلوس من سورا: "من المستحيل إخضاع الكائنات البشريّة كلّها لقاعدة واحدة: الأجسام المختلفة لها قوى مختلفة، مثل الثّحاس والحديد مقارنةً بالشمع". [١٠] فبينما كانوا يبشّرون فقط بالاعتدال في الطعام والشراب، وكانوا يمتنعون عن اللحوم، لم يمتنعوا الآخرين عن أكل اللحوم بين حينٍ وآخر. كانوا يقولون: "يجب أن نشارك الجميع لمجد الله"، غير واضعين جانبًا أيّ شيء، كما يفعل الهراطقة الذين يرفضون على نحوٍ غير منطقيّ ما خلقه الله حسنًا جدًّا. علينا أن نأكل جميع الأطعمة التي لدينا، حتّى تلك الحلوة، بكميّاتٍ صغيرة. هذا هو منطق الحكماء - فنحن لا نختار أنواعًا معيّنة من الأطعمة ونرفض أخرى، لكي نشكر الله ونحفظ نفوسنا من الغرور. وهكذا نتجنّب الكبرياء ولا نستهيّن بما خلقه الله خيرًا". [١١]. هؤلاء الذين يحصرون أنفسهم في مادّة الطعام والشراب، تاركين "العقل" على الهامش، هم أناسٌ وصفهم الآباء بـ "فاقدي التمييز". هؤلاء الأشخاص غير المميّزين يتحمّسون للصوم ولأعمال القديسين بمنطقي ونوايا خاطئة، ويعتقدون أنّهم يجتازون اختبار الفضيلة. في هذه الأثناء، يراقبهم الشيطان كالفريسة، ويلقي فيهم بذرة التفاخر بأنفسهم. ومنها يولد الفريسيّ الداخليّ فيهم وينمو، فيجعلهم يستسلمون للكبرياء الكامل. لأنّه ليس هناك ما يثير الكبرياء بسهولة كالضمير والعقل الذي يعرف مزايا الشخص العديدة، ويعيش مّثكلًا عليها". [١٢]. يتوجّه الأب إيسيدوروس إلى هذا النوع من الأشخاص قائلاً: "لا تفتخر إذا كنت تتجاهد نسكيًا. وإذا أصبحت مغرورًا بسبب ذلك، فمن الأفضل لك أن تأكل

للحوم، لأنّ أكل اللحوم ليس ضارًا مثل الافتخار بالنفس والازدراء بالآخرين". حتى إنّ آباء مجمع غنغرا فرزوا أولئك "الذين يدينون من يأكل اللحوم باحترام وإيمان (باستثناء الدم وذبائح الأوثان)". هذه هي نظرة الكنيسة المقدّسة في ما يتعلّق بأكل اللحوم، وهي بالفعل نظرةً حكيمةً. في قوانينها، وبعكس النباتيين الحالمين، تعرف الكنيسة أنّها لا تتعاطى مع أشخاصٍ مجردين أو بلا هوى أو بلا جسد، بل مع كائناتٍ بشريّةٍ حيّةٍ تحمل جسدًا، أشخاصٍ لديهم احتياجاتهم ومتطلّباتهم ونقاط ضعفهم. تتعامل معهم الكنيسة، على غرار مؤسسها الإلهي، بقدرٍ كبيرٍ من العطف والرحمة. لدينا أمثلةٌ عن نساءٍ عظماء ورجالٍ قديسين -هم أفضل المعبّرين عن وجهات النظر الكنسيّة، وهم "يعرفون ضعف الإنسان" - لم ينتقدوا أولئك الذين كانوا يأكلون "طعامًا غير مناسب" في أثناء الصوم، وليس ذلك فحسب، بل كانوا يأكلون هم أيضًا "القليل" من هذا الطعام.

فالقديس تيوخون من زادونسك، لما كان معتزلًا في دير زادونسك، زار مرّةً يوم الجمعة من الأسبوع السادس من الصوم الكبير، الراهب بالإسكيم الأب ميتروفانيس. كان عند هذا الأخير ضيفٌ يُدعى قوزما ستودينيكين، وهو من إيليتز، وقد أحبه القديس لحياته التقية. حدث في ذلك اليوم أنّ صيادًا كان يعرفه الأب ميتروفانيس، أحضر له سمكةً شَبوطٍ من أجل أحد الشعانين. وبما أنّ الضيف لم يكن سيبقى في الدير حتّى أحد الشعانين، فقد طبخ الأب سمك الشَبوط في ذلك اليوم مع الحساء. وجد القديس تيوخون الأب ميتروفانيس وضيّفه يأكلان. فارتعب الأب من هذه الزيارة غير المتوقّعة، إذ عدّ نفسه مذنبًا لأنّه خالف الصيام، وسقط عند قدّمي القديس تيوخون طالبًا منه المغفرة. ولكنّ هذا الأخير، إذ كان يعلم أيّة حياةٍ صارمةٍ كان يعيشها صديقه، قال لهما: "اجلسا، أنا أعرفكما؛ المحبّة أعظم من الصيام". وجلس هو نفسه إلى الطاولة، وأكل بضع ملاعق من حساء السمك، وسكبه لهما. ذهل صديقه من هذا العطف واللطف. فهما كانا يعلمان أنّ رئيس الكهنة القديس تيوخون من زادونسك لم يكن يتناول حتّى الزيت، في أيّام الاثنين والأربعاء والجمعة، فما بالك بالسمك [١٣].

وثمة قصّةٌ أخرى عن أحد النساك الأتقياء الذي تمجّد بموهبة عمل المعجزات، حتّى في حياته، وهو القديس سبيريدون القبرصي. تروي القصّة كيف جاء شخصٌ مسافرٌ إليه في بداية الصوم الكبير، عندما كان القديس وأفراد أسرته يحافظون، وفقًا للعادة، على صومٍ صارمٍ جدًّا، ويتناولون الطعام فقط في أيامٍ معيّنة، فلا يأكلون شيئًا في الأيام الأخرى. ولما رأى القديس سبيريدون المسافر تعبًا جدًّا، طلب من ابنته أن تقدّم له شيئًا يأكله. أجابته أنّه لا خبز ودقيق لديهم، إذ لا يوجد سببٌ للاحتفاظ بهما في الصوم. فصلّى القديس واستغفر، وطلب من ابنته أن تقلي بعض لحم الخنزير المملّح الموجود في المنزل. وبعد تحضيرها إيّاه، أجلس القديس سبيريدون المسافر بجانبه، وبدأ يأكل اللحم ويقنع ضيفه

بأن يفعل الشيء نفسه. عندما رفض هذا الأخير واصفًا نفسه بالمسيحي، قال له القديس: "ولكن لا داعي لأن ترفض لأن كلمة الله تقول: 'كل شيء طاهر للطاهرين' (تيطس ١: ١٥)". [١٤]

لا نعرف إذا كان النباتيون يعلمون بهذه الحوادث، أو كيف سيرونها. قد يبدو هؤلاء الرجال القديسون "ضعفاء" من وجهة نظر نباتية. إلا أن بولس الرسول، في رسالته إلى أهل رومية (١٤: ٢)، حيث كانت تجري نقاشات حول ما إذا كان يجب أكل اللحوم أو الخضار، يدعو بالضعفاء أولئك الذين يعتبرون أنه لا يجوز للمسيحيين سوى أكل الخضار - والذين يرون أن أكل اللحوم أمر غير أخلاقي وإجرامي (كما يراه النباتيون في أيامنا).

بالفعل، شخص مثل هؤلاء هو مسيحي ضعيف - مستعد، على حد قول بولس الرسول، إلى العودة "إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون أن تستعبدوا لها من جديد" (غلاطية ٤: ٩). يعتقد هذا الشخص أن الطعام في حد ذاته يمكن أن يقربنا إلى الله (١ كو ٨: ٨)، وكأن ملكوت الله طعام وشراب وليس براءً وسلامًا وفرحًا في الروح القدس (راجع رومية ١٤: ١٧)؛ ينسى أن "كل شيء طاهر" (رومية ١٤: ٢٠)، وأن "كل خليفة الله جيدة، ولا يُرفض شيء إذا أخذ مع الشكر" (١ تي ٤: ٤). لذلك، ليس من المستنكر أكل اللحوم في تلك الأيام التي تسمح به فيها الكنيسة المقدسة. عندما أتى الجنس البشري إلى الوجود، أمر الله الإنسان أن يأكل البذور والفواكه (تكوين ١: ٢٩). ولكن عندما أضرب الإنسان طبيعته بالخطيئة، وجلب اللعنة على الأرض، تبين أن الأطعمة النباتية غير كافية للجنس البشري. ونعلم من الكتاب المقدس أنه بعد الطوفان، أعطى الله للناس الحيوانات والطيور والأسماك، كطعام يأكلونه مع الأعشاب الخضراء (تكوين ٩: ٣). وهذا يعني أن استخدام اللحوم سمح به الله نفسه [١٥]. فهو إذا لا يحتوي على أي تناقض أو لا أخلاقية.

بحسب قول النباتيين، عندما يقتل الإنسان الحيوانات من أجل الطعام، هو ينتهك مبادئ العدل والرحمة بالحيوانات. إنه يحرمهم من الحياة التي لم يمنحها الإنسان لهم، ويسبب لهم مثل هذه المعاناة الرهيبة، حتى إن الأشخاص المعتادين رؤيتها يُصابون هم أيضًا بالغثيان عندما يرون العذاب الذي تعانيه الحيوانات. في كتابات بعض النباتيين، [١٦] نجد صفحات كاملة مكرسة للوصف التصويري للعذاب القاسي الذي يلحقه الإنسان بالحيوانات - ذلك الإنسان "الشَّره المحب للمتعة" و"النَّهم الذي لا يشبع" و"الجلاد الشرير". الرحمة هي بالطبع شعورٌ موقرٌ جدًّا، ولكن فقط إذا كان يحمل طابعًا رصينًا وصحيًا، لا طابعًا كاذبًا وعاطفيًا. تجد سيداتٍ يُغْمى عليهنَّ عند إنجاب كلبة، ولا يباليين بدموع الإنسان. من الذي يعتبر شعور الرحمة هذا صحيًا وصحيًا؟ أو من يوافق مع الهندوس الذين أقاموا مستشفيات للدجاج والحمام، بينما يسمحون في الوقت نفسه لآلاف [من الطبقات الدنيا] بالموت في

أثناء فترات الجفاف، لأنهم لا يسمحون لهم باستخدام المياه من آبار الطبقات العليا. إنهم ينفون محبة الحيوانات والتعاطف معها على حساب الناس، ويضرون بهؤلاء.

إنّ النباتيين ينتهجون بديانة الهندوس بسبب "مبادئهم السامية الداعية إلى الرحمة بالحيوانات"، ولكنّ ديانتهم فيها عدم كفاية، ما هو موجودٌ أيضًا لدى النباتيين. لقد "تجاوزوا الحدود" في دفاعهم عن حقوق الحيوانات. يقول الكثير [١٧] منهم إنّ "الحيوانات هي تمامًا مثل الإنسان في المعنى الجسدي والأخلاقي"، ومثل الإنسان تمامًا، "لديها العقل والمشاعر الأخلاقية"، وأحيانًا "بدرجة أكبر"، لديها "الفهم والمشاعر والقدرات نفسها". [١٨] "الحيوانات هي من فئة البشر نفسها"، لها الحقوق نفسها في الحياة، "هم إخواننا"، وبالتالي فإنّ قتلهم هو "قتل الإخوة". [١٩]

ولكن إذ يفكر النباتيون على هذا النحو، يعلنون أنفسهم دعاةً للمادية التي لا ترى أيّ فرقٍ جوهريّ بين الإنسان والحيوان. لقد فقدت المادية منذ زمنٍ طويلٍ مصداقيتها في نظر العالم العلمي. لا يوجد عالمٌ واحدٌ جدّيٌّ ونزيهٌ يحاول الإصرار على أنّ عالم الحيوانات الداخلي هو مثل عالم الإنسان الداخلي. [٢٠]

إنّ هذه الميول المادية تلحق ضررًا كبيرًا بنقاء التعاليم النباتية، ولا يسعنا إلا أن نأسف لأنّ النباتيين، بدلًا من التبشير بأفكارهم بالتعاون مع الكنيسة المقدّسة وبروح تعاليم المسيح، يفضّلون استخلاص آرائهم من آبار التعاليم الباطلة، تلك الآبار المظلمة.

[١] فقط بعض النباتيين يسمحون بالحليب والبيض في نظامهم الغذائي.

[٢] على سبيل المثال، الأستاذ بيكيتوف في كتابه "النظام الغذائي والإنسان"، وفي قاموس Brockhaus and Ephron الموسوعي، العدد ٥: ٦٩١.

[٣] "الخطوة الأولى" في مقدمة "أخلاقيات الغذاء"، XXI-XXIII.

[٤] ويليامز، أخلاقيات الغذاء، ٢٧.

[٥] المرجع نفسه، ١٣٨، ١٤٠.

[٦] المرجع نفسه، ٢٨٠.

[٧] أخلاقيات الطعام، ٢١٥.

[٨] الحياة الرهبانية بحسب أقوال النساك، الطبعة الأولى، ٧٧-٧٨ [بالروسي].

[٩] المرجع نفسه، ١٠١.

[١٠] المرجع نفسه، ٦٨.

[١١] المرجع نفسه، ٦٩، ٨١.

[١٢] المرجع نفسه، ٩٨.

[١٣] حياة القديس تيمون من زادونسك (موسكو: ١٨٦٣)، ١٦٥-١٦٧.

[١٤] سوزومين، تاريخ الكنيسة، الكتاب الأول، الفصل ١١.

[١٥] احتج ويليامز مؤلف كتاب "أخلاقيات الغذاء" على ذلك قائلاً إنّنا إذا حاولنا الدفاع عن تناول اللحوم بناءً على الكتاب المقدس، فسندطر أيضًا إلى الدفاع عن العبودية وتعدّد الزوجات والحروب الهمجية (ص ٢٠٨). لكن بالنسبة إلى كل شخص غير متحيز، من

الواضح أن هناك فرقاً جوهرياً بين تناول اللحوم وتعدّد الزوجات على الأقل؛ وبتبيين من الكتاب المقدس أنّ الله أذن للأول وباركه، ولكنه سمح بالتالي لفترة فقط.

[١٦] الأساس العلمي للنباتيين؛ أخلاقيات الغذاء.

[١٧] على سبيل المثال، أوزوالد، وبنتام، ونيكلسون، وجليز، وميشل، وهولتز، وأخيرًا ويليامز مؤلف أخلاقيات الغذاء.

[١٨] يسأل أحد النباتيين: "هل يمكن أن تكون أرواح جميع الحيوانات إلى جانب البشر فانية أو خلقت مختلفة تمامًا؟" (أخلاقيات الغذاء).

[١٩] كان الإجهاض لا يزال مماثلاً لقتل الرضع عندما كتب القديس تيوخون هذا، ولكن لو كان يكتبه الآن لكان بلا شك ذكر كيف أنّ العديد من المدافعين عن حقوق الحيوان لا يرون أية مشكلة في الإجهاض، ويشعرون بالتعاطف مع الحيوان أكثر من الجنين البشري.

[٢٠] لو وُجد "فلاسفة" أكدوا العكس، لكان القديس باسيلوس الكبير قد قال لمعاصريه: "أهربوا من هذيان الفلاسفة الكئيبين الذين لا يخلجون من اعتبار أرواحهم مثل روح الكلب، ويقولون عن أنفسهم إنهم كانوا ذات مرة أشجارًا وأسماكًا من البحر. وعلى الرغم من أنني لن أقول ما إذا كانوا أسماكًا أم لا، فإنني مستعد بكل جهدي لأؤكد أنهم عندما كتبوا ذلك، كانوا أسماكًا غبية".